الأستاذ: النذير ضبعي
السنة: الثانية ليسانس
المادة: المدارس اللسانية
التخصص: دراسات لغوية
المحاضرة رقم 08 من 14
عنوان المحاضرة: المدرسة السياقية

عرفت هذه المدرسة بالمدرسة السياقية، وقد ؟أسسها فيرث، الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة، فمعنى الكلمة عند أصحاب هذا الاتجاه هو استعمالها في السياق، أي معناها وهي مرتبطة بتلك المعطيات اللغوية والخارجية المحيطة بها، وعليه فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات التي ترد فيها، فهذ السياقات هي التي تكسب الوحدة اللغوية معناها، فالمعنى يتغير من سياق لآخر وإن كانت العبارة اللغوية نفسها.

إن السياق يعد من أبرز العوامل في فهم الخطاب وبيان المقصود منه، وإذا كان السياق سياقين: لغوي وغير .فإدراك حيثيات السياق هو إدراك للمعنى لغوي فإن التحليل اللغوي يتكئ عليهما معا؛ أي على القرائن اللغوية وهي متجاورة، ومؤشرات التلفظ التي تحيط بالخطاب، ففي كثير من الحالات نعجز عن فهم الخطاب إذا اجتث النص من سياقه الخارجي.

وعليه فإن الدراسة اللغوية تتضمن دراسة المنطق اللغوي دراسة تتجاوز الدراسة النحوية، والدراسة الدلالية، دون أن تهملها، إنها تفيد منها ثم تبني عليها، وبعد ذلك تدرس المتكلم صاحب المنطوق اللغوي، وكل ما يتعلق بهذا المتكلم مما له تعلق بالرسالة اللغوية أو المنطوق، كيف ننطق ؟ ولماذا ؟وما هدفه ؟أو ما قصده؟"[1].

فهي تسعى إلى تجاوز الأشكال اللغوية الصوتية والعجمية والتركيبية والدلالية إلى مسألة الاستعمال، وفي هذا الإطار يتم الاهتمام بالسياق، وأخذه بعين الاعتبار كعنصر أساسي في عملية الإنتاج اللغوي[2].

يتوزع السياق عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان... ما جعل منه مفهوما مركزيا يتسم بالشساعة مما يصعب حصره، لذلك ليس من السهل تقديم تعريف دقيق له.

ويمكن القول بدءا إن مصطلح السياق يطلق على مفهومين:

- السياق اللغوي.
- سياق التلفظ أو سياق الحال أو سياق الموقف.

---

[1] - علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م، ص7.

[2]- ينظر، علي آيت وشان، السياق والنص الشعري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص56.

يقصد بالسياق اللغوي تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع، وتساعد في الكشف عن معناها. ويتضح بهذا المفهوم أنه تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب، من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية، وما بينهما من ترتيب وعلاقات تركيبية.

أما السياق الثاني وهو ما يعرف بالسياق التداولي، ويعرف بمجموعة الظروف التي
تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام[3]. ويتمثل في الجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب من ظروف وملابسات، ويتكون من طرفي الخطاب، وهما المرسل والمرسل إليه، وما بينهما من علاقة، بالإضافة إلى مكان وزمان التلفظ، وما فيه من شخوص، كذلك العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية، وأثر تبادل الخطاب على المتخاطبين[4].

ولا يمكن الفصل بين هذين السياقين؛ لأنها يكملان بعضهما، فالاعتماد على السياق اللغوي وحده سيجعل النص في بيئة مغلقة يصعب فهم معناه، وقد يوقعنا في مزالق الفهم الخاطئ، وليس أدل على ذلك من الجملة الواحدة التي تحمل معنى حرفيا ومعنى مغايرا في موضع آخر. فما السبيل للتفريق بين هذين المعنيين؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تستوجب حضور عنصر هام وفعال في عملية الفهم والإفهام يكمن في السياق الخارجي. وفي هذا يقول المتوكل: "يلاحظ في كثير من الأحوال أن معنى جمل اللغات الطبيعية إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية من استفهام وأمر ونهي ونداء إلى غير ذلك من الصيغ المعتمدة في تصنيف الجمل، ويعني هذا بالنسبة للوصف اللغوي أن التأويل الدلالي الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرا إذا اكتفي فيها بمعلومات الصيغة وحدها"[5].

غير أن الاقتصار على السياق الخارجي وحده دون اللغوي قد يجعل المؤول يحوم حول النص دون معرفة المعنى.

لذلك ينبغي أن يشمل السياق على المؤشرات اللغوية، وغير اللغوية التي تنضوي تحتها جملة من المؤشرات المتصلة بالملفوظ من ظروف وملابسات، ومعارف موسوعية، وسياق ثقافي وغيرها.

وتكمن أهمية السياق في حصر دلالات الخطاب وبيان القصد منه ومراد المتكلم، وهو ما يمثل غاية العملية التواصلية التي يصعب تحقيقها إذا اجتث النص من سياقه؛ لأن الخطاب "الواحد تخلف معانيه باختلاف السياقات التي يرد فيها، كما أن الكلمة الواحدة تختلف معانيها باختلاف السياق الذي ترد فيه، فالسياق" بمثابة العنصر الفاعل في توضيح الكلام، بل في صحته والوصول به إلى درجة القبول في

---

[3]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 40-41.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

[5]- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص93.

مبناه ومعناه، ومعنى ذلك أن عدم الاهتمام به وأخذه في الحسبان، قد يميل الكلام إلى مجرد ضوضاء تلقى في الهواء"[6].

ويشتمل السياق الثقافي على "الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية، والمعلومات التاريخية، والأفكار والأعراف المشاعة بينهم. فهذا السياق هو المعين على فهم عبارات مثل "فلان جبان الكلب"، و"تجمد بينهم الجليد" ونحو ذلك مما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية، أو له صلة بثقافة المجتمع الدينية أو السياسية أو الاجتماعية بوجه عام"[7].

[6] - كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2005، ص 367-368.
[7]- محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص161.